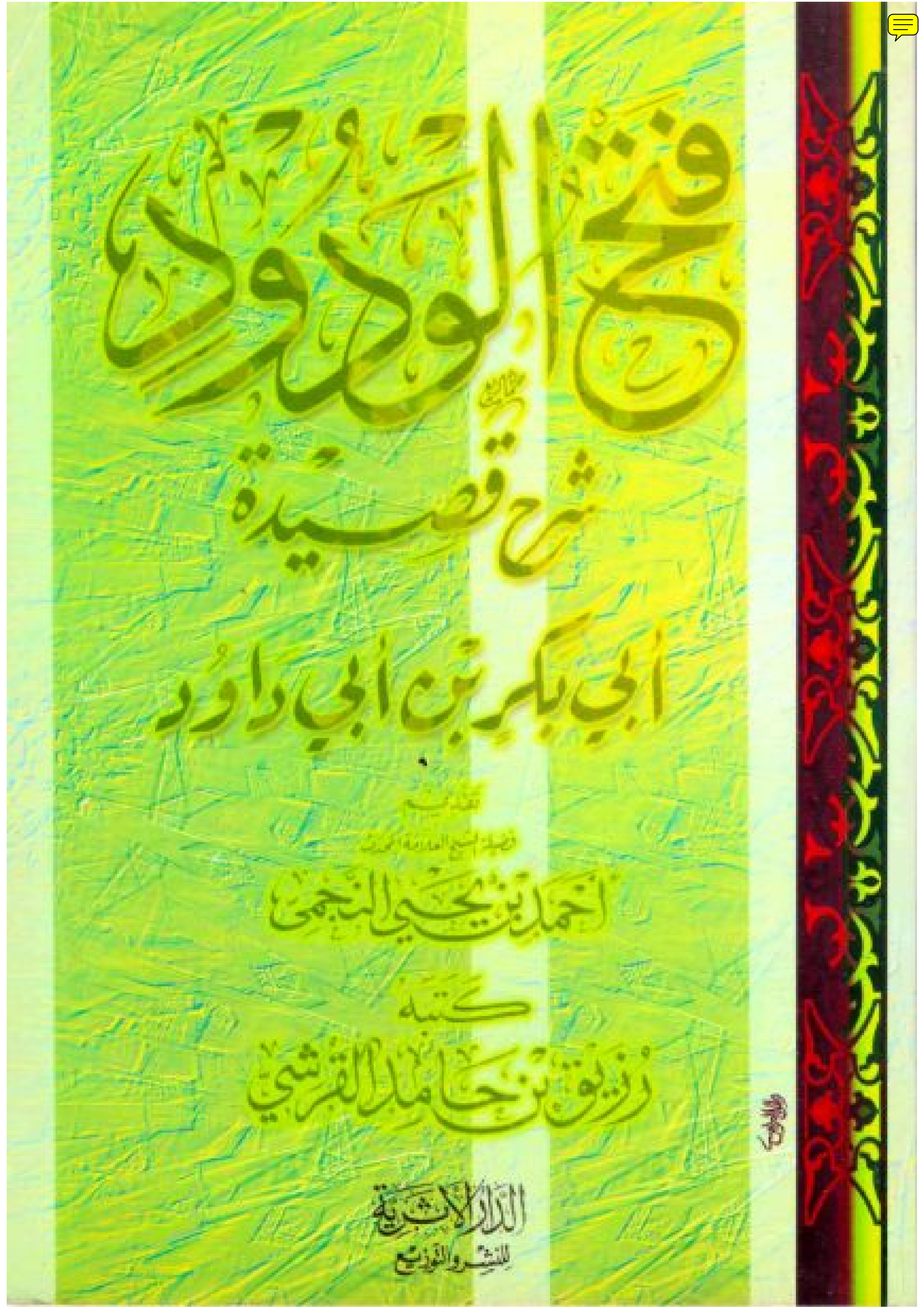

فتح الودود
شرح قصيدة
أبي بكر بن أبي داود
تقديم
فضيلة الشيخ العلامة المحدث
أحمد بن يحيى النجمي
كتبه
رزيق بن حامد القرشي
الدار الأثرية
للنشر والتوزيع

فتح الودود

شرح قصيدة

أبي بكر بن أبي داود

بسم الله الرحمن الرحيم

ح رزيق بن حامد القرشي، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرشي؛ رزيق بن حامد

فتح الودود شرح قصيدة أبي بكر بن أبي داود/ رزيق بن حامد القرشي — المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ

٨٠ص؛..سم

ردمك: ٨-٨٩٤-٤٩-٩٩٦٠

١-العقيدة الإسلامية ٢-التوحيد ٣- علم الكلام أ.العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٠/٧ /١٤٢٦

رقم الإيداع: ١٤٠/٧ /١٤٢٦

ردمك: ٨-٨٩٤-٤٩-٩٩٦٠

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٦/١٨١٥٥

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ

الدار الأثرية

٢٧ حي الشيخ الطاهر طريق مسجد العزيز

مقابل مديرية الشئون الدينية —عنابة- الجزائر

جوال: ٠٠٢١٣٧١٢٥٠٨٣٦

البريد الإلكتروني: dar_elatharia@yahoo.fr



تقديم

فضيلة الشيخ العلامة المحدث
أحمد بن يحيى النجمي

كتبه
رزيق بن حامد القرشي

الدار الأثرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد بن يحيى النجمي

AHMAD YAHYA AL-NAGMI

التاريخ :

الموافق :

المرفقات :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد فقد عرض علي أبو ياسر زيد بن حامد الحسيني القرشي وفقه الله وزاده هدى وسدادا شرحه على قصيدة أبي بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث رحمه الله ورحم والده أبا داود صاحب السنن وهي القصيدة التي مطلعها تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيا لعلك تفلح ولقد تصفحت شرحه المذكور فرأيت أنه قد وفق فيه وسدد وإني لأحث طلاب العلم على قراءته والاستفادة منه وبالله التوفيق

كتبه أحمد بن يحيى النجمي

١٤٢٩/٢/٤

جازان - صامطة - تليفاكس ٠٧٣٢٢٢٥٦٠ - جوال ٠٥٣٠٩٧٧٩٣ - ص.ب ٩٢





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[٣].

أما بعد:

فقد روى البخاري ومسلم -واللفظ للبخاري- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

---

(١) آل عمران: (١٠٢).

(٢) النساء: (١).

(٣) الأحزاب: (٧٠،٧١).

عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»(١).

وروى عن معاوية رضي الله عنه -واللفظ لمسلم- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»، وفي لفظ: «**لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة**»(٢).

ورأس الطائفة الظاهرة على الحق هم علماء الأمة، الذين حملوا أمانة العلم، فعملوا به، وعلموه الناس، وكشفوا عوار من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة(٣).

وكان الإمام العلّامة الحافظ شيخ بغداد: عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر السجستاني المولود بسجستان في سنة ثلاثين ومائتين كان له القدح المعلى في بيان عقيدة السلف في مؤلفاته الكثيرة جدًّا منها المنظومة التي مطلعها:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيًّا لعلك تفلحُ
ودن بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربحُ

وهذه المنظومة هي مختصر لعقيدة أهل السنة والجماعة نظمها الإمام رحمه الله.

---

(١) رواه البخاري: (٨/ ١٤٩).
(٢) مسلم: (٣/ ٤).
(٣) «أعداء السنة»: (٣، ٤).

وقد أوردها الإمـام الذهبي: في مصنفه: «سير أعلام النبلاء»[1].

وقال صاحب «مجموعة الرسائل الكمـالية» (رقم: ٣)[2].

قال الإمـام الكبير، والحافظ الشهير شمس الدين الذهبي في كتابه «العلو»: هذه القصيدة متواترة عن ناظمها رواها الآجري، وصنف لها شرحًا.

قلت: ولم أجد هذا الشرح.

ولقد أعجبت بهذه المنظومة منذ قرأتها، وحفظتها منذ زمن، ثُمَّ بدا لي أن أساهم في شرحها بشرح مختصر أرجو أن أكون وفقت فيه لأكون من الذين ساهموا في بيان عقيدة أهل السنة والجمـاعة.

وأرجو -أيضًا- الأجر والثواب من الله العلي القدير في هذا العمل المتواضع.

فإن وفقت في ذلك فمـا ذلك إلا بتوفيق الله -عز وجل- وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من كل ذنب.

وكتبه: أبو ياسر رزيق بن حامد القرشي

(١) سير أعلام النبلاء: (٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) مجموعة الرسائل الكمـالية: (١٢٣، ١٢٤، ١٢٥).

ترجمة مختصرة لصاحب المنظومة

هو: الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد: عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر السجستاني، صاحب «التصانيف» ولد بسجستان سنة ثلاثين ومائتين.

وسافر به أبوه، وهو صبي، فكان يقول: رأيت جنازة إسحاق بن راهويه.

قلت: وكانت في سنة ثمان وثلاثين ومائتين في شعبان، فأول شيخ سمع منه: محمد بن أسلم الطوسي، وسر أبوه بذلك لجلالة محمد بن أسلم.

وروى عن خلق كثير بخراسان، والحجاز، والعراق، ومصر، والشام، وأصبهان، وفارس.

وكان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه[١].

صنف: «السنن»، و«المصاحف»، و«شريعة القارئ»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«البعث».

وحدَّث عنه خلق كثير.

وهذه القصيدة من نظمه- يرحمه الله-.

أنشدنا أبو العباس أحمد بن عبد الحميد قال: أنشدنا الإمام أبو محمد بن قدامة سنة ثمان عشرة وستمائة، أخبرتنا فاطمة بنت علي ولوقاياتي أخبرنا علي

(١) وأبوه الإمام المعروف صاحب السنن: أبو داود السجستاني -رحمه الله-.

ابن بيان أخبرنا الحسن بن علي الطناحبري، حدثنا أبو حفص بن شاهين.

أنشدنا أبو بكر بن أبي داود لنفسه.

قال محمد بن عبد الله بن الشخير: كان ابن أبي داود زاهدًا ناسكًا صلى عليه يوم مات نحوٌ من ثلاثمائة ألف إنسان، وأكثر قال: ومات في ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة، وخلف ثلاثة بنين: عبد الأعلى، ومحمد، وأبو معمر عبيد الله، وخمس بنات.

قال ابنه عبد الأعلى: «توفي أبي، وله ست وثمانون سنة وأشهر».



بسم الله الرحمن الرحيم

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيًّا لعلك تفلحُ

ودن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربحُ

وقل غير مخلوقٍ كلام مليكنا بذلك دان الأولياء وأفصحوا

ولا تك في القرآن بالوقف قائلا كما قال أتباع لجهم وصححوا

ولا تقل القرآن خلق قراءة فإن كلام الله باللفظ يوضح

وقل يتجلى الله للخلق جهرةً كما البدر لا يخفى وربك أوضح

وليس بمولدٍ وليس بوالدٍ وليس له شبهٌ تعالى المسبحُ

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصداق ما قلنا حديث مصرحُ

رواه جرير عن مقال محمد فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجحُ

وقد ينكر الجهمي أيضًا يمينه وكلتا يديه بالفواضل تنفحُ

وقل ينزل الجبار في كل ليلةٍ بلا كيف جل الواحدُ المتمدحُ

إلى طبق الدنيا يمن بفضله فتفرج أبواب السماء وتفتحُ

يقول ألا مستغفرٌ يلق غافرًا ومستمنحًا خيرًا ورزقًا فيمنحُ

روى ذاك قوم لا يرد حديثهم إلا خاب قوم كذبوهم وقبحوا

وقل إن خير الناس بعد محمدٍ وزيراه قدمًا ثم عثمان الأرجحُ

ورابعهم خير البرية بعدهم عليٌّ حليف الخير للخير يمنحُ

وأنهم والرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالنور تسرح

سعيد وسعد وابن عوفٍ وطلحة ... وعامرُ فهرٍ والزبير الممدحُ

وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعانًا تعيب وتجرحُ

فقد نطق الوحي المبين بفضلهم ... وفي الفتح آيٌ في الصحابة تمدحُ

وبالقدر المقدور أيقن فإنه ... دعامة عقد الدين والدين أفيح

ولا تنكرن جهلًا نكيرًا ومنكرًا ... ولا الحوض والميزان إنك تنصحُ

وقل يخرج الله العظيم بفضله ... من النار أجسادًا من الفحم تطرحُ

على النهر في الفردوس تحيا بمائه ... كحبة حمل السيل إذ جاء يطفحُ

وإن رسول الله للخلق شافع ... وإن عذاب القبر بالحق موضحُ

ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا ... فكلهم يعصي وذو العرش يصفحُ

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقال لمن يهواه يردي ويفضحُ

ولا تك مرجيًّا لعوبًا بدينه ... إلا إنما المرجي بالدين يمزحُ

وقل إنَّما الإيمان قول ونيَّة ... وفعل على قول النبيِّ مصرحُ

وينقص طورًا بالمعاصي وتارةً ... بطاعته ينمي وفي الوزن يرجحُ

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول «رسول الله» أزكى وأشرحُ

ولا تك من قومٍ تلهوا بدينهم ... فتطعن في أهل الحديث وتقدحُ

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير تبيت وتصبحُ



[١] تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيًا لعلك تفلحُ
[٢] ودن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربحُ

[١/ ٢] هذا توجيه إلى التمسك بحبل الله -وهو القرآن- والهدى الذي فيه، وترك البدع والمحدثات؛ لأن التمسك بكتاب الله فيه الهدى والفلاح، وأن التدين لا يكون إلَّا بكتاب الله، وبسنة رسول الله ﷺ، ويشير أن هذا هو طريق الفلاح والنجاة والربح.

وهذا التوجيه مأخوذ من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾(١).

وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض**»(٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله -تعالى-: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ قيل: (بحبل الله) أي: بعهد الله كما قال في الآية التي بعدها: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٢]. أي: بعهد وذمة.

---

(١) آل عمران: (١٠٢، ١٠٣).
(٢) أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٤/ ٣٦١).

قيل: (بحبل الله) يعني: القرآن، كما في حديث الحارث الأعور عن علي مرفوعًا في صفة القرآن: «وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم» انتهى(١).

قال العلَّامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره -«تفسير الكريم الرحمن»- حول هذه الآيات قال: «وهو دينه، وكتابه، والاجتماع على ذلك، وعدم التفرق، وأن يستديموا ذلك حتى الممات»(٢).

[٣] وقل غير مخلوقٍ كلام مليكنا بذلك دان الأولياء وأفصحوا

[٤] ولا تك في القرآن بالوقف قائلا كما قال أتباع لجهم وصححوا

[٥] ولا تقل القرآن خلق قراءة فإن كلام الله باللفظ يوضح

[٣/ ٥] عقيدة أهلِ السنة والجماعة في القرآن بأنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود.

والقرآن كلام الله -عز وجل- حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، تكلم الله به قولًا، وأنزله على نبيه وحيًا، وآمن به المؤمنون حقًّا؛ فهو وإن خط بالبنان، وتلي باللسان، وحفظ بالجنان، وسمع بالآذان، وأبصرته العينان، لا يخرجه ذلك عن كونه كلام الرحمن، فالأنامل والمداد، والأقلام، والأوراق مخلوقة، والمكتوب بها غير مخلوق،

---

(١) تفسير الكريم الرحمن: (١/ ٢٦٠).

(٢) تفسير الكريم الرحمن: (١/ ٢٦٠).

والألسن، والأصوات مخلوقة، والمتلو بها على اختلافها غير مخلوق، والصدور مخلوقة، والمحفوظ فيها غير مخلوق، والأسماع مخلوقة، والمسموع غير مخلوق.

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾(١).

وقال الله -تعالى-: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾(٢).

وقال -تعالى-: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾(٣).

وقال -تعالى-: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(٤).

والنصوص في ذلك لا تحصى.

ومن قال: القرآن -أو شيءٌ من القرآن- مخلوق فهو كافر كفرًا أكبر يخرجه من الإسلام بالكلية، وكذلك من قال: شيء من صفات الله مخلوقة، فهو كافر مرتد يعرض عليه الرجوع إلى الإسلام.

فإن رجع، وإلا قتل كفرًا ليس له شيء من أحكام المسلمين.

والقول بخلق القرآن مذهب الجهمية، والمعتزلة.

---

(١) الواقعة: (٧٧، ٧٨).

(٢) العنكبوت: (٤٩).

(٣) الكهف: (٢٧).

(٤) التوبة: (٦).

والقول بخلق القرآن كفر.

وتكفير الجهمية القائلين بخلق القرآن ثبت عن جماعة من السلف منهم: أحمد بن حنبل، وابن المبارك، وسفيان الثوري، والحسن بن عيسى، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن إدريس، ووكيع بن الجراح، وحماد بن زيد، ومعمر بن سليمان، وعبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وغيرهم كثير[١].

وإليك أخي القارئ- نقولًا عن بعض الأئمة في هذا القول الفاحش.

قال الإمام البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد»: وحلف يزيد بن هارون بالله الذي لا إله إلا هو: من قال القرآن مخلوق فهو كافر[٢].

وقيل لأبي بكر بن عياش: إن قومًا ببغداد يقولون: إنه مخلوق، فقال: ويلك من قال هذا على من قال القرآن مخلوق لعنه الله، وهو كافر، ولا تجالسوهم.

وقال ابن مقاتل: سمعت ابن المبارك يقول: من قال: إنني أنا الله لا إله إلا أنا مخلوق فهو كافر.

وقال الإمام البخاري -أيضًا-: قال ابن عيينة، ومعاذ، والحجاج بن محمد، ويزيد بن هارون، وهاشم بن القاسم، والربيع بن نافع الحلبي، ومحمد بن يوسف، وعاصم بن علي بن عاصم، ويحيى بن يحيى، وأهل العلم: من قال القرآن

---

(١) كتاب «السنة» للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل: (١/ ١٠٣-١٢٣).

(٢) «خلق أفعال العباد»: (١٤، ١٥) نشر الدار السلفية.

مخلوق فهو كافر.

وقال وكيع بن الجراح: لا تستخفوا بقولهم: القرآن مخلوق، فإنه من شر قولهم، إنما يذهبون إلى التعطيل[١].

وطائفة أخرى: هم شر من الجهمية والمعتزلة قومٌ سموا (الواقفة)، وهم الذين يقولون في القرآن: لا نقول هو كلام الله، ولا نقول مخلوق.

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي، ومن كان لا يحسنه بل كان جاهلًا جهلًا بسيطًا فهو تقام عليه الحجة بالبيان، والبرهان، فإن تاب، وآمن بأنه كلام الله -تعالى- غير مخلوق، وإلا فهو شر من الجهمية[٢].

وآخرون غير الواقفة قالوا: لفظي بالقرآن مخلوق. وسموا «اللفظية».

قال العلَّامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي: «هذه العبارة لا يجوز إطلاقها نفيًا، ولا إثباتًا؛ لأن اللفظ معنى مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد، وبين اللفظ به الذي هو القرآن، فإذا أطلق القول بخلقه شمل المعنى الثاني، ورجع إلى قول الجهمية.

وإذا قيل: غير مخلوق شمل المعنى الأول الذي هو فعل العبد، وهذا من بدع

---

(١) السابق.

(٢) «السنة» للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل: (١/ ١٠٣-١٢٣).

الاتحادية، ولهذا قال السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-[١]: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهم، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع[٢].

وقد قتل الجعد بن درهم بسبب قوله: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا.

وأقوال السلف في هذه كثيرة جدًّا.

[٦] وقـل يتجلـى الله للخلـق جهـرةً كمـا البـدر لا يخفـى وربـك أوضـحُ

[٦] يتجلى الله -جلَّ وعلا- لعباده المؤمنين فيرونه جهرة، ليس بينهم، وبينه حجاب: قال الله -تعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٣].

وقال -تعالى-: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٤].

وقال -تعالى- في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[٥].

فإذا حجب أعداءه لم يحجب أولياءه.

وفي الحديث عند **البخاري ومسلم**: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا

---

(١) روي هذا القول عن الإمام أحمد بن حنبل، انظر كتاب «السنة»: (١/ ١٦٤، ١٦٥)، و«الصواعق المرسلة»: (٤٢١).

(٢) «أعلام السنة»: (٩٦).

(٣) القيامة: (٢٢، ٢٣).

(٤) يونس: (٢٦).

(٥) المطففين: (١٥).

جلوسًا مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: **«إنكم سترون ربكم عِيانًا كما ترون القمر، لا تضامون في رؤيته، فإذا استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا»**[١].

وقوله: «**كما ترون**» هذا أي: كرؤيتكم هذا القمر تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، كما أن قوله في حديث: **«إذا تكلم الله- عز وجل- بالوحي ضربت الملائكة بأجنحتها؛ خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان»**[٢].

وهذا تشبيه للسماع بالسماع لا للمسموع بالمسموع، تعالى الله أن يشبهه في ذاته، أو صفاته شيء من خلقه، وحاشا النبي ﷺ أن يشبه ربه بالمخلوقات، وهو أعلم الخلق بالله -عز وجل-، وأتقاهم له، وإن قال قائل: متى تكون هذه الرؤيا؟

فالجواب:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وقد دخل أيضًا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه، وبملائكته، وبرسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانًا بأبصارهم،كما يرون الشمس صحوًا، ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته سبحانه، وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه

---

(١) البخاري: (٥٥٤)، مسلم: (٢/ ١١٣، ١١٤)، أبو داود: (٤/ ٣٣).

(٢) البخاري: (٨/ ١٩٤)، ابن ماجه: (١/ ٧١)، الترمذي: (٥/ ٣٦٢).

بعد دخول الجنة كما يشاء الله[١].

وفي حديث صهيب عند مسلم: «**فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم -عز وجل-**»، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٢].

ورؤيته -جل وعلا- وفي المرة الثانية خاصة بالمؤمنين، ويدل على ذلك ما رواه أحمد عن صهيب بن سنان: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ نودي يا أهل الجنة لكم موعدٌ عند الله**» فقالوا: ألم يثقل موازيننا، ويعطينا كتبنا بأيماننا، ويدخلنا الجنة، وينجينا من النار، فيكشف الحجاب؟ قال: «**فيتجلى الله عز وجل لهم فما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه**»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٣].

[٧] **وليس بمولدٍ وليس بوالدٍ وليس له شبهٌ تعالى المسبحُ**

[٧] وهذا يؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٤].

---

(١) «العقيدة الواسطية»: (٢٠)، إدارة البحوث والإفتاء.

(٢) مسلم: (١/ ١١٢).

(٣) أحمد: ٤/ ٣٣٢.

(٤) الإخلاص: ٣، ٤.

وفي هذا البيت نفى عنه أن يكون مولودًا، أو أن يكون والدًا، وأيضًا نفى عنه الشبه. أي: أن يشبهه شيء من خلقه، أو يماثله -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- يقول الله -عز وجل-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾[1].

وأيضًا نفى عنه الشبيه من خلقه، فهو ليس كمثله شيء، وإن اتفقت الأسماء، فيدٌ ليست كيدٍ ووجهٌ ليس كوجهٍ، ورجلٌ ليست كرجلٍ، وعينٌ ليست كعينٍ. فللمخلوق ما يليق بضعفه، وللخالق ما يليق بكماله -جل جلاله-.

ويزيد هذا المعنى وضوحًا ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي أن يقول: إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي أن يقول: اتخذ الله ولدًا. وأنا الصمد الذي لم ألد، ولم أولد. ولم يكن لي كفوًا أحد**»[2].

[٨] وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصداق ما قلنا حديث مصرحُ

[٩] رواه جرير عن مقال محمد فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجحُ

[٨/ ٩] ويقصد المصنف بهذا أن إنكار الرؤية مذهب الجهمية، والمعتزلة،

(١) الشورى: ١٠.

(٢) البخاري تفسير سورة الإخلاص: ٤/ ١٩٠٣.

الأشاعرة، والحديث الذي رواه جرير بن عبدالله رضي الله عنه يعني: الحديث المتقدم في إثبات الرؤية: «**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا**».

فإن قلت بقول أهل السنة: إن الحديث حجة في إثبات الرؤية أفلحت، ونجحت، وإلا فقد قلت قولًا عظيمًا وافقت فيه أهل البدع من الجهمية وغيرهم ممن أنكروا رؤية الله -عز وجل- يوم القيامة.

اللهم ارزقنا الحسنى وزيادة يوم نلقاك يا أرحم الراحمين.

[١٠] **وقد ينكر الجهمي أيضًا يمينه وكلتا يديه بالفواضل تنفحُ**

[١٠] صفة اليدين ثابتة بالكتاب والسنة، وأهل السنة على يقين من ذلك لا يشكون فيه أبدًا، وهذا بتوفيق الله -جل وعلا- ثم بتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهم يثبتونها إيمانًا بقوله -جل وعلا-: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾(١).

وقوله -عز وجل-: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾(٢).

---

(١) ص: ٧٥.

(٢) المائدة: ٦٤.

وأيضًا يستدلون بأحاديث النبي ﷺ العديدة في هذا الباب ومنها:

حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «**يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتوا آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا....**» وذكر الحديث بطوله[1].

فأهل السنة يقولون بهذا، ويثبتون ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ ويقفون عند هذا لا يكيفون، ولا يعطلون، ولا يشبهون، ولا يحرفون: بخلاف أهل التعطيل، والتحريف من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ومن نحا نحوهم. نعوذ بالله من ذلك...

[١١] **وقل ينزل الجبار في كل ليلة بلا كيف جل الواحدُ المتمدحُ**

[١٢] **إلى طبق الدنيا يمن بفضله فتفرج أبواب السماء وتفتحُ**

[١٣] **يقول ألا مستغفرٌ يلق غافرًا ومستمنحًا خيرًا ورزقًا فيمنحُ**

[١١/ ١٣] هذه الأبيات الثلاثة تتضمن الحديث عن صفة نزول الرب جل ثناؤه إلى سماء الدنيا.

وقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة برواية جماعة من أصحاب النبي ﷺ،

---

(١) البخاري: ٣/ ٤٠٣، مسلم: ١/ ١١٠.

ومن تلك الأحاديث:

ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا لشطر الليل- أو لثلث الليل- الأخير فيقول: من يدعوني فأستجب له؟ أو يسألني فأعطيه؟ ثم يقول من: يقر غير عدوم، ولا ظلوم**»[1].

وروي مسلم- أيضًا- من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله -عز وجل- يمهل حتى يمضي ثلثا الليل، ثم يهبط فيقول: هل من سائل؟ هل من تائب؟ هل من مستغفر من ذنب؟**» فقال له رجل: حتى يطلع الفجر؟ فقال: «**نعم**»[2].

وكذلك حديث نافع بن جبير، عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ينزل الله -عز وجل- إلى سماء الدنيا في ثلث الليل فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**» قال: «**وذلك كل ليلة**»[3].

وقوله: «**بلا كيف**» أي: بلا كيف يعلم، وهذا شأن جميع الصفات فإنه لا يعلم كيفيتها إلا الله -عز وجل-.

ويعني بقوله: «**إلى طبق الدنيا**» أي: إلى سماء الدنيا، كما قال الله -عز وجل-:

(١) مسلم: رقم ٧٥٨.

(٢) مسلم: رقم ٧٥٨.

(٣) أحمد: ٤/ ٨١، والنسائي في «اليوم والليلة» رقم ٤٨٧، والطبراني في «الكبير» ٢/ ١٣٩.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾[١].

[١٤] **روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا**

[١٤] **قصدَ المصنف بذلك**: رواة الأحاديث الذين رووا أحاديث النزول، وأنهم كلهم ثقات عدول، ومن أولئك الرواة: أصحاب النبي ﷺ ومنهم: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعبادة بن الصامت، ورفاعة ابن عرابة، وجابر بن عبدالله، وعثمان بن أبي العاص، وأبو الدرداء، وأنس بن مالك، وعمرو بن عنبسة، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم- رضي الله عنهم أجمعين-.

فنقول كما قال الإمام أبو بكر بن أبي داود رحمه الله: ألا خاب قوم كذبوا هؤلاء الأئمة الأعلام من الصحابة، ومن تبعهم بإحسان ألا خابوا، وقبحوا.

[١٥] **وقل إن خير الناس بعد محمدٍ وزيراه قدمًا ثم عثمان الأرجحُ**

[١٦] **ورابعهم خير البرية بعدهم عليٌّ حليف الخير للخير يمنحُ**

[١٥/ ١٦] **وهؤلاء هم**: الخلفاء الراشدون الذين ثبتت خلافتهم بعد النبي ﷺ، وهم المعنيون بقول النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**».

والأحاديث الدالة على خلافة الأربعة كثيرة، ومعلومة في كتب السنة منها:

---

(١) نوح: ١٥.

ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الملك من يشاء...**»(١).

فكان ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فأبو بكر: سنتان وثلاثة أشهر، وعمر: عشر سنين وستة أشهر، وعثمان: اثنتا عشرة سنة، وعلي: أربع سنين وتسعة أشهر.

فتلك تسع وعشرون سنة وستة أشهر، ويكمله ثلاثين بيعة الحسن بن علي ستة أشهر(٢).

ومنها- أيضًا- ما روى أبو داود وغيره عن سمرة بن جندب: «أن رجلًا قال: يا رسول الله! إني رأيت كأن دلوًا أدلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربًا خفيفًا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذها بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء»(٣).

ومنها: حديث أبي بكرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «**من رأى منكم رؤيا؟**» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر

---

(١) أحمد: (٥/ ٢١)، وأبو داود رقم: (٤٦٤٦)، الترمذي (٢٢٢٦).

(٢) التذكرة: (١/ ٥، ٨، ٩، ١٣).

(٣) أحمد: (٥/ ٢١)، أبو داود رقم: (٤٦٣٧).

وعثمـان فرجح عمر، ثم رفع الميزان»[١].

وقال ﷺ: «**أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمـان بعمر**»[٢].

وهكذا الأحاديث في «السنن» و«المسانيد» كثيرة، ومشهورة في خلافة الأربعة، وفي ترتيب الخلافة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمـان، ثم علي، وهذا مـا يعتقده أهل السنة -أتباع السلف الصالح- رضي الله عنهم، ورحم من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ومن الأدلة على فضل هؤلاء الأربعة، وترتيب خلافتهم: إجمـاع من يعتد بإجمـاعهم على خلافة هؤلاء الأربعة، ولا يطعن في خلافة واحد منهم إلا ضال مبتدع[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ويقرون (أي: أهل السنة) بمـا تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذا الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمـان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم.

كمـا دلت عليه الآثار، وكمـا أجمع الصحابة على تقديم عثمـان في البيعة.

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمـان وعلي رضي الله عنهما بعد

---

(١) أبو داود: (٤/ ٢٠٨)، والترمذي: (٤/ ٥٤٠).

(٢) أبو داود: (٤/ ٨)، أحمد: (٣/ ٣٥٥)، والحاكم: (٣/ ٧١،٧٢).

(٣) الطحاوية: (٥٣٢).

اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟

فقدم قومٌ عثمان: وسكتوا، أو ربعوا بعلي.

وقدم قومٌ عليًّا.

وقوم توقفوا.

لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، ثم علي، وإن كانت هذه المسألة -مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة.

لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان ثم علي.

ومن طعن في خلافة واحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله(١).

[١٧] وأنهم والرهط لا ريب فيهم على نجب الفردوس بالنور تسرح

[١٨] سعيد وسعد وابن عوفٍ وطلحة وعامرُ فهرٍ والزبير الممدحُ

[١٧/ ١٨] يريد بذلك العشرة المبشرين بالجنة: الخلفاء الأربعة، والستة المذكورين بعدهم في البيت.

وهم: سعيد، وسعد، وابن عوف، وطلحة، وعامر، والزبير.

(١) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزى بن رباح بن قرط بن

---

(١) الواسطية (٢٤٢، ٢٤٣) خليل الهراس.

رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب. أبو الأعور القرشي العدوي.

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه[(١)].

(٢) سعد بن أبي وقاص، واسم وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي.

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدرًا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى[(٢)].

(٣) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي أبو محمد.

أحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين القرشي الزهري، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام[(٣)].

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ين كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي التيمي المكي. أبو محمد.

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١/ ١٢٤).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١/ ٩٢).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١/ ٦٨).

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة[١].

(٥) أبو عبيدة بن الجراح: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب ابن صنبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي الفهري المكي.

أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم السقيفة؛ لكمال أهليته عند أبي بكر.

يجتمع في النسب هو والنبي ﷺ في فهر، شهد له النبي ﷺ بالجنة وسماه أمين الأمة[٢].

(٦) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله. أبو عبد الله رضي الله عنه.

أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١/ ٢٣).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١/ ٥).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١/ ٤١).

أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم: حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «**عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وطلحة في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**»، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو؟. قال: **سعيد بن زيد**، وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر منه وجهه من عمل أحدكم، ولو عُمِّر عمر نوح[(١)].

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[(٢)].

وهذا الحديث المعروف بحديث العشرة المبشرين بالجنة مع العلم بأن الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة كثيرون.

وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة، وتقديمهم؛ لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم[(٣)].

---

(١) الطحاوية: (٧٢٧).

(٢) الترمذي: (٢٩٤٦).

(٣) الطحاوية: (٤٨٨).

[١٩] وقل خير قول في الصحابة كلهم ولا تك طعانًا تعيب وتجرحُ
[٢٠] فقد نطق الوحي المبين بفضلهم وفي الفتح آيٌ في الصحابة تمدحُ

[١٩/ ٢٠] **الواجب لهم علينا**: سلامة قلوبنا وألسنتنا، ونشر فضائلهم، والكف عن مساويهم، وما شجر بينهم، والتنويه بشأنهم كما نوه تعالى بذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، وثبتت الأحاديث الصحيحة في الكتب المشهورة من الأمهات وغيرها في فضائلهم قال- عز وجل-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا (٢٩)﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠)﴾[٣].

---

(١) الفتح: (٢٩).
(٢) الأنفال: (٧٤).
(٣) التوبة: (١٠٠).

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[١].

ونعلم، ونعتقد أن الله -تعالى- اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[٢].

وكانوا ثلاثمائة وبضع عشر[٣] وبأنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة[٤].

بل قد رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وكانوا ألفًا وأربعمائة، وقيل: خمسمائة[٥].

وقال- تعالى-: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[٦].

ونشهد أنهم أفضل القرون من هذه الأمة[٧] التي هي أفضل الأمم، وأن من أنفق مثل أحد ذهبًا من بعدهم لم يبلغ مُدّ أحدهم، ولا نصيفه[٨].

---

(١) التوبة: (١١٧).

(٢) مسلم: (٧/ ١٦٨)، أبو داود رقم: (٤٦٥٤)، الترمذي: (٣٣٠٥).

(٣) عدد المسلمين في بدر ورد في «صحيح البخاري» عن البراء بن عازب: (٥/ ٥).

(٤) الترمذي: رقم (٣٨٦٠-٣٨٦٣)، وأبو داود رقم: (٤٦٥٣).

(٥) البخاري: (٥/ ٦٣)، ومسلم: (٦/ ٦٣).

(٦) الفتح: (١٨).

(٧) البخاري: (٤/ ١٨٩)، أبو داود رقم: (٤٦٥٧)، الترمذي: (٣٨٥٩).

(٨) البخاري: (٤/ ١٩٥)، مسلم: (٧/ ١٨٨).

مع الاعتقاد بأنهم لم يكونوا معصومين، بل يجوز عليهم الخطأ، ولكنهم مجتهدون، للمصيب منهم أجران، ولمن أخطأ واحد -أي: أجر واحد- على جتهاده، وخطؤه مغفور، ولهم من الفضائل الصالحات، والسوابق ما يذهب سيئ ما وقع منهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

وكذلك القول في زوجات النبي ﷺ، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا[١].

ونبرأ من كل من وقع في صدره أو لسانه سوءٌ على أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته، أو على أحد منهم[٢].

ونشهد الله -تعالى- على حبهم وموالاتهم، والذب عنهم ما استطعنا حفظًا لرسول الله ﷺ في وصيته إذ يقول: «**لا تسبوا أصحابي**».

وقوله ﷺ: «**الله الله في أصحابي**»[٣]، وقال ﷺ: «**إني تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فخذوا بكتاب الله، وتمسكوا به**» ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**»[٤].

ونبرأ إلى الله -جل ذكره- من أولئك الذين وقعوا في أصحاب رسول الله ﷺ،

---

(١) نشير إلى الآية التي في سورة الأحزاب رقم (٣٣).

(٢) كالرافضة: الذين سبوا سائر أصحاب النبي ﷺ إلا القليل ممن سلم منهم.«الملل والنحل» (١٤٦).

(٣) أحمد: (٤/ ٨٧)، و(٥/ ٥٤،٥٥)، والترمذي رقم: (٣٨٦٢)، وابن حبان: (٢٢٨٤).

(٤) مسلم: (٧/ ١٢٢،١٢٣)، والدارمي رقم: (٣٣١٩).

وإنه من المؤسف أن بعض الكُتَّاب في هذا الزمـان قد زلت أقلامهم في أصحاب رسول الله ﷺ، وهم بذلك قد وافقوا الخوارج وغيرهم من أهل البدع في طعنهم على أصحاب رسول الله ﷺ، ولو قالوا: إنهم من أهل السنة فالقول لابد أن يصدقه العمل.

[٢١] وبالقـدر المقـدور أيقـن فإنـه   دعامـة عقـد الديـن والديـن أفيـح

[٢١] قال الله- تعالى-: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾[1].

وقال -تعالى-: ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[2].

وقال -تعالى-: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۝٣٧﴾[3].

وقال -تعالى-: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[4].

والآيات في هذا كثيرة في كتاب الله -جل وعلا-.

ومن الأحاديث الدالة على وجوب الإيمـان بالقدر: حديث جبريل عند مسلم عن عمر رضي الله عنه قال: «**فأخبرني عن الإيمـان؟**»، قال: «**أن تؤمن بالله**

---

(١) الأحزاب: (٣٨).

(٢) الأنفال: (٤٢).

(٣) الأحزاب: (٣٧).

(٤) التغابن: (١١).

وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر: خيره وشره»[١].

وقوله ﷺ: «اعلم! أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[٢].

وقال ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[٣]، وغير ذلك من الأحاديث.

ويقول العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان بالقدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، وأنه- تعالى- قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأسرارهم وعلانيتهم، ومن هو منهم من أهل النار، والدليل على المرتبة الأولى، وهي الإيمان بالعلم: قوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[٤].

---

(١) مسلم: (١/ ٣٠٧).

(٢) أبو داود رقم: (٤٦٩٩)، والترمذي: (٢١٤٤).

(٣) مسلم: (٨/ ٥١)، وأحمد: (٢/ ١١٠).

(٤) الحشر: (٢٢).

وقوله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾[(١)].

وقوله -تعالى-: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾[(٢)].

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة جدًّا في كتاب الله.

ومن الأحاديث: قوله ﷺ لرجل عندما سأله: يا رسول الله! أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**» قال: فلِمَ يعمل العاملون؟ قال: «**كلٌّ يعمل لما خلق له، أو لما يسر له**»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»[(٤)].

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابه ذلك، وأنه - تعالى- قد كتب جميع ما سبق به، علمه أنه كائن، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح المحفوظ، والقلم.

ودليل المرتبة الثانية: قوله -تعالى-: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾[(٥)].

---

(١) الطلاق: (١٢).

(٢) سبأ: (٣).

(٣) البخاري: (٧/ ٢١٠)، مسلم: (٨/ ٤٨)، أبو داود رقم: (٤٧٠٩).

(٤) مسلم: (٨/ ٥٥)، وأبو داود رقم: (٤٧١٣).

(٥) يس: (١٢).

وقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾[١].

وقوله -سبحانه-: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾[٢].

ومن الأحاديث: قول المصطفى ﷺ: «**ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتب شقية، أو سعيدة**»[٣].

وفيه أيضًا: حديث سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله! بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير**» قال: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر**»، وفي رواية: «**كل عامل ميسر لعمله**»[٤].

وغير ذلك من الأحاديث.

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته النافذة، وقدرته الشاملة.

والدليل على المرتبة الثالثة: قوله-تعالى-: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٥].

---

(١) الحج: (٧٠).

(٢) طه: (٥١،٥٢).

(٣) البخاري: (٦/ ٨٤)، ومسلم: (٨/ ٤٧، ٤٨)، وأبو داود رقم: (٤٦٩٥).

(٤) مسلم: (٨/ ٤٨)، وأحمد: (٣/ ٢٩٣).

(٥) الإنسان: (٣٠).

وقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1].

وقوله -تعالى-: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩﴾[2].

وقوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[3]

والآيات في ذلك كثيرة.

ومن الأحاديث: قوله ﷺ في نومهم في الوادي: «**إن الله- تعالى- قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء**»[4].

وقوله ﷺ: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء**»[5].

وقوله ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما يشاء**»[6].

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله- تعالى- خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولا فيما بينهما إلا والله خالقها، وخالق

---

(١) الكهف: (٢٣، ٢٤).

(٢) الأنعام: (٣٩).

(٣) النحل: (٩٣).

(٤) البخاري: (٨/ ١٩٢)، وأبو داود رقم: (٤٣٩، ٤٤٠).

(٥) مسلم: (٨/ ٥٠، ٥١)، وأحمد: (٢/ ١٦٨)، وابن ماجه رقم: (٣٨٣٤).

(٦) البخاري: (٨/ ١٩٣)، ومسلم: (٨/ ٣٧).

حركاتها، وسكناتها سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه.

والدليل على هذا: قوله- تعالى-: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[1].

وقوله -تعالى-: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

وقوله -تعالى-: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[3].

وقوله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾[4].

ومن الأحاديث: ما ذكره الإمام البخاري في كتابه «**خلق أفعال العباد**» عن حذيفة مرفوعًا: «**إن الله يصنع كل صانع، وصنعته**»[5].

وقول النبي ﷺ: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، إنك أنت وليها ومولاها**»[6].

والإيمان بالقدر نظام التوحيد، ولا ينتظم أمر الدين، ويستقيم إلا لمن آمن بالقدر، وامتثل الشرع، كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر، ثم قال لمن قال له:

---

(١) الزمر: (٦٢).

(٢) فاطر: (٣).

(٣) لقمان: (١١).

(٤) الروم: (٤٠).

(٥) خلق أفعال العباد: (٧٣)، وأخرجه الحاكم: (١/ ٣١). وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٦) مسلم: (٨/ ٨١،٨٢)، والنسائي: (٨/ ٢٦٠).

أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: «**اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**»(١).

فمن نفى القدر -زاعمًا- منافاته للشرع فقد عطل الله -تعالى- عن علمه، وقدرته، وجعل العبد مستقلًّا بأفعاله، خالقًا لها؛ فأثبت مع الله -تعالى- خالقًا، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون(٢).

وهذا المذهب الخبيث ظهر في عهد الصحابة، وأنكروه، وهو مذهب القدرية النفاة من المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعاله خيرها وشرها. وأن الله منزه عن ذلك فلا يضاف إليه الشر؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالمًا.

تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وذكر شارح «الطحاوية» حديث أبي داود، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(٣).

والقدر الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة عليه، وأن الذي جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع: هو ما قدره الله من مقادير العباد.

وعامة ما يوجد من كلام الصحابة، والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء، كقول ابن عمر رضي الله عنهما لما قيل له: يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. قال:

---

(١) البخاري: (٧/ ٢١٢)، ومسلم: (٨/ ٤٦،٤٧).

(٢) «أعلام السنة المشهورة» من (ص ١٤٧) إلى (ص ١٧٠) مع شيءٍ من الاختصار.

(٣) الطحاوية: (٢٧٢، ٢٧٣).

أخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني براء[1].

[٢٢] **ولا تنكرن جهلا نكيراً ومنكراً ولا الحوض والميزان إنك تنصح**

[٢٢] إنكار سؤال القبر، وإجلاس الميت في قبره وسؤاله؛ هذا قول الفلاسفة فهم ينكرون اختلاف أضلاعه في القبر كل ذلك؛ لمجرد أنهم لم يروا ذلك، وهم يقولون: نحن نضع الزئبق على الميت، وهو أسرع الأشياء تحركًا ومروقًا، وإذا جئنا من الغد وجدنا الزئبق على ما هو عليه، وأنتم تقولون: إن الملائكة يأتون؟ وهذه تجارب مشاهدة، وليس لها في علم الغيب شيء.

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ **في «شرحه للعقيدة الواسطية»**: إن هذا من علم الغيب، ومن الجائز أن تكون أضلاعه مختلفة فإذا كشف عنها أعادها الله، ورد كل شيء إلى مكانه امتحانًا للعباد؛ لأنها لو بقيت مختلفة، ونحن قد دفناه وأضلاعه مستقيمة صار الإيمان بذلك إيمان شهادة.

وكذلك تجربة الفلاسفة حول وضع الزئبق على الميت في قبره يقول الشيخ: من الجائز أيضًا أن الله – عز وجل– يرد الزئبق إلى مكانه بعد أن تحول بالجلوس.

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: انظروا الرجل في المنام يرى أشياء لو كان على حسب رؤيته إياها ما بقي في فراشه على السرير، وأحيانًا تكون رؤيا حق من الله– عز وجل–

---

(١) المصدر السابق: (٢٧٤).

فتقع كما كان يراها في منامه، ومع ذلك نحن نؤمن بهذا الشيء.

والإنسان إذا رأى في منامه ما يكره أصبح وهو متكدر، وإذا رأى ما يسره أصبح وهو مستبشر، كل هذا يدل على أن أمور الروح ليست من الأمور المشاهدة، ولا تقاس أمور الغيب بالمشاهد، ولا ترد النصوص الصحيحة؛ لاستبعادنا ما تدل عليه حسب المشاهدة[١].

والأصل في ذلك كله: «ما صح عند الترمذي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قبر الميت -أو قال: أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينور له فيسر، ثم يقال له: نَم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض: التئمي عليه فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»**[٢].

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية»: (٤٨٨، ٤٨٩).

(٢) الترمذي: (١٠٨٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الميت عرض عليه مقعده فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، ثم يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(١).

فهذا هو الأصل في الإيمان به، والتسليم؛ لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، والله- جل جلاله- قد امتدح المؤمنين بالغيب، وأنها صفة للمتقين، وذلك في قوله -تعالى-: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾(٢).

والحوض في الأصل: مجمع الماء، والمراد به هنا: حوض النبي ﷺ، والحوض ثابت في السنة عن النبي ﷺ قال: «**وأني، والله لأنظر إلى حوضي الآن**»(٣).

وقوله ﷺ: «**ومنبري على حوضي**»(٤).

وأهل السنة يؤمنون به، ويدعون الله -عز وجل- أن يسقيهم منه شربة لا يظمئون بعدها أبدًا.

---

(١) الترمذي: (١٠٨٤).

(٢) البقرة: (١- ٥).

(٣) البخاري: (٦٥٩٠).

(٤) البخاري: (٦٥٨٩).

وكذلك إنكار الميزان، أو تأويله إلى غير ما هو مذكور في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

فذكر الميزان جاء في كتاب الله – عز وجل- وفي سنة رسوله ﷺ جاء ذكره بالجمع والفرد: في قوله -تعالى-: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(١).

وفي قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾(٢).

وكذلك ورد ذكر الميزان في السنة بالفرد في قول النبي ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٣).

وفي مثل ما ثبت من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان رضي الله عنه دقيق الساقين جعلت الريح تحركه فضحك الصحابة رضي الله عنهم فقال النبي ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: من دقة ساقيه. قال: «**والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد**»(٤).

وظاهر هذه النصوص: أن الميزان حسي، يقول شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله:

---

(١) الأنبياء: (٤٧).

(٢) الأعراف: (٨، ٩).

(٣) البخاري: (٦٤٠٦)، ومسلم: (٢٦٩٤).

(٤) أحمد: (١/ ٤٢١).



فتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد.

والآيات والأحاديث الثابتة في السنة تشير إلى ذلك.

وأيضًا فيها رد على المعتزلة الذين أنكروا أن هناك ميزانًا حسيًّا، وقالوا: لا حاجة له؛ لأن الله -تعالى- قد علم أعمال العباد وأحصاها، ولكن المراد بالميزان: الميزان المعنوي الذي هو العدل، وتبعهم في ذلك سيد قطب في سورة الأعراف(١).

ولا شك أن قول المعتزلة باطل؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ، وإجماع السلف، ولأننا إذا قلنا: إن المراد بالميزان: العدل فلا حاجة إلى أن نعبر بالميزان، بل نعبر بالعدل؛ لأنه أحب إلى النفس من كلمة (ميزان)(٢)؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾(٣).

وخلاصة القول: أن منكرًا، ونكيرًا، والحوض، والميزان كل ذلك حق لا جدال فيه ثابت بالكتاب والسنة، ولا مجال للإنكار، ولا التأويل، وهو ما عليه سلف هذه الأمة- رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين -.

---

(١) في ظلال القرآن سورة الأعراف: (ص ١٢٦١).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ٤٩٩، ٥٠٠).(ابن عثيمين).

(٣) النحل: (٩٠).

[٢٣] وقل يخرج الله العظيم بفضله من النار أجساداً من الفحم تطرحُ
[٢٤] على النهر في الفردوس تحيا بمائه كحبة حمل السيل إذ جاء يطفحُ

[٢٣/ ٢٤] يعني: أن الله -تعالى- يخرج من عصاة المؤمنين من شاء بغير شفاعة، وهذا من نعمته فإن رحمته سبقت غضبه فيشفع الأنبياء، والصالحون، والملائكة، وغيرهم حتى لا يبقى إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرج من النار من يخرج بدون شفاعة حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أصحاب النار[١].

فقد روى الشيخان -البخاري ومسلم- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«أن الله- تعالى- يقول: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل»**. الحديث[٢].

[٢٥] وإن رسول الله للخلق شافع وإن عذاب القبر بالحق موضحُ

[٢٥] الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة.

أما من كتاب الله: ففي قوله- تعالى-: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[٣]، وهذا

(١) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ٥٣٢، ٥٣٣). (ابن عثيمين).
(٢) البخاري: حديث رقم (٧٤٣٩)، ومسلم (٢٩٩).
(٣) الزمر: (٤٤).

ص في أن الشفاعة لله جميعًا، ليس لأحد فيها شيء، فهو -عز وجل- يؤتيها من يشاء من عباده.

فأما متى تكون فأخبر أنها لا تكون إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(١).

وقال -تعالى-: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾(٢).

والشفاعة ستة أنواع:

أولها وأعظمها: الشفاعة في موقف القيامة في أن يأتي الله؛ لفصل القضاء بين عباده، وهي خاصة لنبينا محمد ﷺ، وهي المقام المحمود الذي وعده الله -عز وجل- كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾(٣).

وذلك أن الناس إذا ضاق بهم الموقف، وطال المقام، واشتد القلق، وألجمهم العرق التمسوا الشفاعة في أن يفصل الله بينهم، فيأتون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى ابن مريم، وكلهم يقول: نفسي نفسي... إلى أن ينتهوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها**»: كما جاء مفصلًا في «الصحيحين»(٤)، وغيرهما.

---

(١) البقرة: (٢٥٥).

(٢) النجم: (٢٦).

(٣) الإسراء: (٧٩).

(٤) البخاري: (٨/ ٨٣، ٨٤)، ومسلم: (١١/ ١٢٣، ١٢٤)، الترمذي: (٢٤٣٤).

الثانية: الشفاعة في استفتاح باب الجنة، وأول من يستفتح بابها نبينا محمد ﷺ، وأول من يدخلها من الأمم أمته، وهذا ثابت عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه[1].

الثالثة: الشفاعة في أقوام أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها[2].

الرابعة: فيمن دخلها من أهل التوحيد أن يخرجوا منها، فيخرجون، قد امتُحِشوا، وصاروا فحمًا، فيطرحون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل[3].

الخامسة: الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة، وهذا يأخذ من عموم حديث الشفاعة.

السادسة: الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار، وهذه خاصة لنبينا محمد ﷺ في عمه أبي طالب، كما في «مسلم» وغيره عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه، يغلى منه دماغه**»[4].

وعذاب القبر، ونعيمه لا شك فيه، ولا ريب؛ لأن ذلك وارد في الكتاب والسنة.

ففي كتاب الله: قوله -تعالى-: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي

---

(١) مسلم: (١/ ١٨٨).

(٢) «فتح المجيد»: (ص٢١٦).

(٣) قطعة من حديث سبق تخريجه: (٤٣).

(٤) مسلم: (١/ ١٩٥).

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[(١)].

فإن هذا في فتنة القبر كما ثبت في «الصحيحين»، وغيرهما من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر يشهد: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**». فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[(٢)].

وأما السنة: فقد تظافرت بأن الإنسان يفتن في قبره، وهي فتنة قال عنها ﷺ: «**إنه قد أوحى إلىّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل، أو قريبًا من فتنة الدجال**»[(٣)].

وما أعظمها من فتنة؛ لأن الإنسان يتلقى فيها السؤال الذي لا يمكن الجواب عنه إلا على أساس متين من العقيدة، والعمل الصالح.

فالمهم أن السؤال في القبر، وعذاب القبر، ونعيمه حق لا ريب فيه.

وأهل السنة أتباع النبي ﷺ يؤمنون بذلك بدون شك، ولا ريب فالمؤمن إذا سئل في قبره يثبته الله بالقول الثابت، والقول الثابت: هو التوحيد كما قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾[(٤)].

---

(١) إبراهيم: (٢٧).

(٢) البخاري: (٤٦٩٩)، ومسلم: (كتاب الجنة، وصفة نعيمها (ص٢٨٧١)).

(٣)مسلم: (٩٠٥).

(٤) إبراهيم: (٢٤).

فيقول المؤمن: ربي الله عندما يقال له: من ربك؟ ويقول إذا قيل له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام ديني، ويقول كذلك: محمد ﷺ إذا قيل له: من نبيك؟

وحينئذٍ يكون الجواب صوابًا، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة.

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

والمرتاب: الشاك، والمنافق، ومن شابههم. فيقول: هاه هاه لا أدري يعني لم يلج قلبه، وإنما كان يقول كما يقول الناس من غير أن يصل الإيمان إلى قلبه، هذا وإن قال: آمنت فإنما هو قول فقط.

تنبيه: عذاب القبر، ونعيمه، والسؤال في القبر، وما يحدث في القبر كل ذلك من علم الغيب الذي لم يره، ولن يراه أحد، وإنما ثبت بالأدلة من الكتاب والسنة، وما صح عن النبي ﷺ لا يجوز لأحدٍ أن يتعدى ذلك لا برسم، ولا بتمثيل، ولا يقول غير ما ثبت في الكتاب والسنة.

وإني لأعجب من أناس يروجون بين الآونة، والأخرى أوراقًا فيها من هذا القبيل، وأنهم رأوا الشجاع الأقرع، وهو الثعبان الذي يأتي الميت في قبره، ويزعمون كذبًا، وبهتانًا أنهم رأوا ذلك، وجعلوا له صورًا تنشر بين الناس، صورة الثعبان، وهو ملتف على جنازة.

وإنه من المؤسف: أن هذه انطلت على بعض طلاب العلم، فأخذ يجعجع بها



في بعض محاضراته، فأين القاعدة في علم الغيب عند هؤلاء؟

لذلك لابد للمسلم -وخاصة طالب العلم- أن يكون على حذر في نقل الأخبار فلا يأتي إليه خبر، أو يسمع به فينقله بدون نظر، وفهم، وتمحيص فيقع في مثل هذه الأكذوبة. نعم، وأقول أكذوبة؛ لأن مثل هذه الأمور هي من علم الغيب الذي لم يره أحد إلا من أطلعه الله على شيء من علم الغيب من رسله الكرام، وأنبيائه العظام.

فنحن نؤمن به كما أخبر؛ لقوله -تعالى-: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[1].

[٢٦] **ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا فكلهم يعصي وذو العرش يصفحُ**

[٢٦] **هذه عقيدة أهل السنة والجماعة**: عدم تكفير أهل القبلة بخلاف المعتزلة والخوارج، ومن قال بقولهم. اتفقوا على أن صاحب الكبيرة إن مات، ولم يتب منها فهو خالد مخلد في النار لا تنفعه شفاعة الشافعين. فقد قالوا شططًا وحجروا واسعًا.

وقالوا: إن فاعل الكبيرة كافر؛ ولهذا خرجوا على المسلمين، واستباحوا دماءهم وأموالهم.

---

(١) الجن: (٢٦، ٢٧).

فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر؛ لأن المعاصي منها ما يكون كفرًا، وأما مطلق المعصية فلا يكون كفرًا، والفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء يعني: أصل الشيء.

فالمؤمن الفاعل للكبيرة عنده مطلق الإيمان، فأصل الإيمان موجود عنده، لكن كماله مفقود[1].

فالمعنى الذي عنده أصل الإيمان، ولكن حدث منه معاصٍ فلا يكفر بمجرد فعله للمعصية فهذا الذي يستقيم مع قول أبي بكر بن أبي داود في قصيدته.

وهذا الباب ضل فيه أقوام فأصبح فيه طرفين، ووسطًا.

طرف كفر بمجرد فعل المعصية: وهم الخوارج.

وطرف قال: لا يضر مع الإيمان ذنب، وهم غلاة المرجئة.

ووسط بين الطرفين، وهم أهل السنة، وعقيدتهم عدم التكفير؛ لمجرد فعل المعصية، وعدم إطلاق الإيمان، أو كمال الإيمان لمن فعل معصية فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة: مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما ارتكب من الذنوب.

إن لم يتب، وهو تحت المشيئة إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، ولم يدخله النار.

ويقصد الشاعر بقوله: «فكلهم يعصي وذو العرش يصفح» أي: أن المؤمن

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ٥٨) (ابن عثيمين).

لا يمكن أن يسلم من الخطأ، واللمم، وبعض المعاصي كما قال ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»(١).

فجميع المعاصي ما دون الشرك فهي تحت المشيئة من شاء غفر له برحمته، ومن شاء عذبه عدلًا منه- جل في علاه-.

[٢٧] **ولا تعتقد رأي الخوارج إنه مقال لمن يهواه يردي ويفضحُ**

[٢٧] وهذا تحذير من رأي الخوارج.

والخوارج طوائف كثيرة، وفرق متباينة في آرائها، واتجاهاتها، وعقائدها.

ولكن يجتمعون في بعض الآراء، ولهم علامات يعرفون بها من أهم تلك العلامات:

أولًا: أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

ثانيًا: أجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك.

ثالثًا: أجمعوا على أن الله -سبحانه- يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا إلا النجدات -أصحاب نجدة بن عامر الحنفي من اليمامة-.

وكذلك من الآراء التي عند الخوارج خلع الطاعة للإمام الحق، وإعلان عصيانه وتأليب العامة عليه.

(١) ابن ماجه رقم: (٤٢٥١).

وعلماء الفقه الإسلامي يسمون من فعل ذلك، وصارت له شوكة (الباغي)، وجمعهم (بغاة)[١].

وفرق الخوارج كثيرة جدًّا، ومقالاتهم كثيرة جدًّا.

وإن من المؤسف: أن بعض الناس، وبعض طلاب العلم في عصرنا الحاضر يغفلون عن آراء الخوارج، ويغفلون عن اتجاهاتهم، ولا يعرفون إلا الاسم-وهو كلمة (خوارج)- فإذا قيل برأيهم، أو فعل فعلهم لا يلقون لذلك أهمية.

والويل كل الويل لمن يصف القائل بقول الخوارج، أو الفاعل لفعلهم هذا خارجي، أو هذا فعل الخوارج.

هذا إن أحسنا بهم الظن، وإلا فقد بلغتهم الحجة، وصدق الإمام أبو بكر ابن أبي داود عندما قال عن رأيهم: مقال لمن يهواه يروي ويفضح.

[٢٨] **ولا تك مرجيًا لعوبًا بدينه ألا إنما المرجي بالدين يمزحُ**

[٢٨] قال أبو محمد[٢]: **غلاة المرجئة طائفتان:**

الأولى: الطائفة القائلة: بأن الإيمان قول باللسان، وإن اعتقد الكفر بقلبه، فهو مؤمن عند الله -تعالى- ولي لله -عز وجل- من أهل الجنة، وهذا قول محمد

---

(١) «مقالات الإسلاميين»: (ص ١/ ١٦٧)، ومن أراد أن يتوسع فليرجع إليه.

(٢) هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد، المعروف بابن حزم الظاهري.

بن كرام السجستاني، وأصحابه، وهم بخراسان، وبيت المقدس.

الثانية: الطائفة القائلة: إن الإيمـان عقد القلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية، وعبد الأوثان، أو لزم اليهودية، أو النصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومـات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمـان عند الله -عز وجل- ولي لله -تعالى- من أهل الجنة.

وهذا قول أبي محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريح التميمي أيام قيامه على نصر بن سيار بخراسان، كذلك قول أبي الحسن علي بن إسمـاعيل بن أبي البشر الأشعري البصري[1].

ويقولون -أيضًا-: إن الإيمـان لا يزيد، ولا ينقص؛ لأن الأعمـال ليست من الإيمـان حتى يزيد بزيادته، وينقص بنقصانه فالإيمـان: هو إقرار القلب، والإقرار لا يزيد، ولا ينقص، ولا يضر مع الإيمـان ذنب، وهذه الأقوال فعلًا هي من اللعب بمكان، فأين هذا العقل الذي يعولون عليه في فهم النصوص؟

[٢٩] **وقـل إنمـا الإيمـان قـول ونيـة وفعـل علـى قـول الـنبي مصـرحُ**

[٣٠] **ويـنقص طـورًا بالمعاصـي وتـارةً بطاعتـه ينمـي وفي الـوزن يـرجحُ**

[٢٩/ ٣٠] **الإيمـان قول وعمل**: قول باللسان، وعمل بالقلب، واللسان

---

(١) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٥/ ٧٣).

والجوارح **فقول القلب**: هو التصديق، **وقول اللسان**: هو التكلم بكلمة الإسلام، **وعمل القلب**: هو النية، والإخلاص، وعمل الجوارح هو الانقياد بجميع الطاعات.

فإذا زالت جميع هذه الأربعة: قول القلب وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح زال الإيمـان بالكلية، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع البقية فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها، وكونها نافعة، وذلك كمن كذب بأسمـاء الله وصفاته، أو بأي شيء ممـا أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وإن زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمـان كله بزواله، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كمـا لم ينفع إبليس وفرعون، وقومه، واليهود، والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ.

بل ويقرون به سرًّا وجهرًا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به[1].

والذين قالوا: الإيمـان هو التصديق فقط المرجئة، حيث زعموا أن الإيمـان يعني التصديق حقيقة، وإطلاقه على الأعمـال مجاز، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية ردًّا مقنعًا،[2] فليراجع.

والإيمـان يزيد وينقص: يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأهله في تفاضل.

أمـا دليل زيادة الإيمـان، ونقصانه: فمن قوله -جل في علاه-: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ

---

(١) «أعلام السنة المشهورة»: (ص ١٧٦).

(٢)«الفتاوى»: (٧/ ١١٦).

إيمانا مع إيمانهم﴾[١].

وقوله -عز وجل-: ﴿وزدناهم هدى ﴿١٣﴾﴾[٢].

وقوله -سبحانه-: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ [٣].

وقوله -جل ذكره-: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾[٤].

وقوله -تعالى-: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا﴾[٥].

والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

وأما من السنة: فحديث حنظلة قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: فقلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج، والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا.

فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، وقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟**» قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج،

---

(١) الفتح: (٤).
(٢) الكهف: (١٣).
(٣) مريم: (٧٦).
(٤) المدثر: (٣١).
(٥) التوبة: (١٢٤).

والأولاد، والضيعات فنسينا كثيرًا فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» ثلاث مرات [١].

وأما تفاضل أهل الإيمان ففي قوله -تعالى-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ -إلى قوله تعالى-: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٢].

وقوله -تعالى-: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ [٣].

وقوله -تعالى-: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [٤].

وفي الحديث: قوله ﷺ: «**إن الله يخرج من النار من كان في قلبه وزن دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان**» [٥].

ولا شك أنه كلما زاد الإيمان زاد وزنه في الميزان عند الله -تبارك وتعالى-؛ لأن الأعمال توزن يوم القيامة، فمن ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة كان من أهل السعادة، ورجح به الميزان كما تقدم أن الأعمال توزن يوم القيامة، قال -تعالى-:

---

(١) مسلم: (٨/ ٩٤، ٩٥) (بشرح النووي).
(٢) الواقعة: (١٠-٢٧).
(٣) الواقعة: (٨٨-٩١).
(٤) فاطر: (٣٢).
(٥) البخاري: (١/ ١٦)، مسلم: (١/ ١٢٥).

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾[1].

[٣١] ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرحُ

[٣١] وهذا- أيضًا- فيه الحث على اتباع السنة، والأخذ بها وتتبعها، وترك ما خالفها من آراء الرجال، فإن الرأي مع وجود السنة لا خير فيه، بل يكون تعصبًا وجمودًا -والعياذ بالله- وهذا يحصل عند أهل الجمود على المذاهب، وكذلك عند الفرق الضالة حيث يقدم لها المنظر فتسلم لجميع أقواله حتى، ولو كانت مخالفة للسنة، وهذا جمود حزبي، وتعصب مذهبي.

ولو أردت ضرب الأمثلة على التعصب الحزبي، والمذهبي، والجمود الفكري، وما له من آفات في تفريق الأمة، وتشتتها، وتمزقها إلى شيع، وأحزاب لطال بي المقال، والمقام في ذلك، ولكن من أراد أن يقف على شيء فعليه بالرجوع إلى كتب الردود في ذلك يجد ما يشفي غليله فمن تلك المراجع: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكتب تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرها من كتب المتقدمين، والمتأخرين التي تبين فساد هذا الجمود، وهذا التعصب المذهبي، والتعصب الحزبي، وواقع الأمة المؤلم، وخاصة في هذا العصر يشهد بذلك فها هي الأمة الإسلامية متفرقة، ومتشتتة بسبب هذا التعصب الحزبي المقيت؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) القارعة: (٦، ٧).

ولا شك ولا ريب أن قول رسول الله ﷺ هو الأزكى والأشرح، وهو الذي لا بد أن تتعصب له، ويؤخذ به مطلقًا؛ لأن فيه الهدى والنور كيف لا، والنبي ﷺ يحث على ذلك بقوله: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور...**» الحديث[1].

[٣٢] ولا تك من قومٍ تلهوا بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدحُ

[٣٢] وكأنه يقصد أهل البدع، والأهواء، بل يقصدهم، ولا شك في ذلك، أولئك الذين يلعبون بالدين، ويأخذون منه ما وافق أهواءهم، وعقولهم، ويردون أو يؤولون ما لم يوافق عقولهم لذلك أهل هذا المذهب الخبيث اضطروا إلى التأويل، والرد للسنة بزعمهم أنها لم توافق عقولهم، وذلك إما جهلًا بالسنة حتى ولو كان ذلك بحسن نية، وإما أنهم يعرفون السنة، ولكن عندهم اتباع للهوى مع خبث في النية، والعياذ بالله من ذلك.

وهؤلاء لا دواء لهم إلا ببيان السنة لهم، ولمن يتبعهم، وكذلك بيان فساد ما هم عليه، فإن رجعوا فبها ونعمت، وإلا أخذ معهم طريق التشهير، والتحذير منهم، ومن أعمالهم الفاسدة الكاسدة.

(١) أحمد: (٤/ ١٢٦)، ابن ماجه رقم: (٤٣)، والترمذي: (٢٦٧٦)، وأبو داود: (٤٦٠٧).

وهؤلاء من طرقهم في ترويج بدعهم، وأهوائهم، وأفكارهم: الطعن على أهل الحديث، ووصفهم بأوصاف شنيعة، وقبيحة، والتعريض بهم في كتاباتهم، ومحاضراتهم، ودروسهم، وهذا ليس بجديد، بل هو دأب أهل الأهواء قديمًا وحديثًا، فكم صدر من المعتزلة والجهمية، والأشاعرة، والخوارج بجميع فرقهم، والمتصوفة بجميع طرقهم مثل هذا الطعن.

ولم يسلم أهل الحديث أيضًا من أناس ينسُبون أنفسهم زورًا وبهتانًا إلى أهل السنة لم يسلموا من ألسنتهم، وكتاباتهم من ذلك، وعلى سبيل المثال ما ذكره صاحب كتاب «من أخلاق الداعية»[1]: حيث قسم الدعاة إلى ثلاث طوائف مشيرًا بذلك إلى جماعة التبليغ، وجماعة الإخوان المسلمين، والسلفيين أهل الحديث بعد وصف الجميع أن كلًّا منهم يتحزب على جزء من الدين فلمس جماعة التبليغ لمسة خفيفة لا تصور ما عندها من بلاء، وذكر بعض أعمال الإخوان المسلمين السياسية المأخوذة من أعداء الإسلام، وسماها جهادًا، وتربية على الجهاد السياسي، ثم ذكر السلفيين أهل الحديث -وهنا بيت القصيد كما قيل- فقال: «وتجد فئة ثالثة عنيت بالإسلام العلمي فهي تتعلم السنة، والحديث، وتشتغل ببيان صحيحها من سقيمها، وتحذر الناس من رواية الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، وقد يصحب ذلك شيء من الجفا، أو ضعف التعبد، أو الغفلة عن واقع الأمة، وما يدبر لها».

---

(١) (ص ٥٨-٦٠).

إذًا فلا غرابة أن يصدر مثل هذا، أو أشد منه من أهل البدع والأهواء، والتصوف إذا كان يصدر هذا ممن ينتسب إلى السنة.

[٣٣] إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه   فأنت على خير تبيت وتصبحُ

[٣٣] القصد: أن جميع ما تقدم من هذه الأبيات، وما فيها من عقائد فإن كل ذلك هو المنهج السليم، والطريق القويم الذي كان عليه سلف هذه الأمة.

فحريٌ بالمسلم أن يكون ذلك هو معتقده طول عمره حتى يلقى الله -تبارك وتعالى- وهو على ذلك، فإن الخير كل الخير، فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فادعُ الله يا أخي المسلم في صباحك، وفي مسائك أن يثبتك الله -جل ذكره- على ذلك.

فالنبي ﷺ كان يقول في سجوده: **«يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»**[(١)].

تم شرح هذه القصيدة بعون الله، وتوفيقه.

في الثالث من شهر رمضان من عام ١٤٢١هـ.

(١) ابن ماجه: (٣٠٩٢)، وصححه الألباني في «الجامع الصحيح» برقم: (٧٨٦٥).